صور الإحسان المتعلقة بالتعامل مع الآخرين في القرآن الكريم

د. سعاد بنت جابر الفيفي[*]

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الإحسان صفة نبيلة، وفعلة عظيمة أمَر الله ﷻ عباده بالاتصاف بها قال – تعالى–: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[النحل:٩٠].

وقد جاء لفظ (حسن) بتصريفاته في القرآن الكريم ليدل على معانٍ متعددة، تجاوزت المعنى العام وهو الإحسان في العبادة لله– تعالى– إلى معانٍ أخرى تشمل

(*) الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز.

سلوكيات الأفراد وأخلاقهم وتعاملهم مع الآخرين، ففي موضع يدور حول إتقان الشيء بفعله على أحسن الوجوه، وفي موضع آخر حول عبادة الله – تعالى– مع استحضار مراقبته، كما أتى بمعنى الإخلاص، وبمعان أخرى تدور حول معنى التفضل والإنعام، وعدم الإساءة.

فهو بمعنى إحسان العمل وإتقانه وإصلاحه، سواء في العبادات أو في المعاملات أو أي عملٍ كان، وذلك في قوله – تعالى–: ﴿**بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾**﴾[البقرة:١١٢].

وبمعنى الإحسان إلى الناس: الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين والمسلمين وسائر الخلق، في قوله – تعالى–: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾**﴾[البقرة:٨٣].

وبمعنى الإحسان إلى مخلوقات الله في قوله – تعالى–: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾**﴾[الأعراف:٥٦].

وعلى هذا فالإحسان الحق ليس إحسان صلاة وصيام وعبادة لله فقط، بل هو أوسع من ذلك فهو عبادة ومعاملة وحسن خلق.

هذا البحث يلقي الضوء على مفهوم الإحسان وصوره التي وردت في القرآن الكريم والتي لها تعلق بالتعامل مع الآخرين، مما دعت إليه الشريعة.

أهمية الموضوع: تظهر أهمية البحث في هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

١/ يتناول هذا البحث جانباً من جوانب موضوع الإحسان في القرآن الكريم، ولا

شك أنه موضوع جدير بالبحث لأهمية ما تعلق به وهو القرآن الكريم.

٢/ أن صور الإحسان لا تقتصر على الأعمال القلبية كما هو المتبادر إلى الأفهام، بل تتعدى ذلك إلى مجالات أوسع تضمنها القرآن الكريم والسنة النبوية، تدعو الحاجة دراستها وإبرازها وتبيينها.

٣/ أن الإحسان من الموضوعات المهمة لآثاره على الفرد والمجتمع، مما يدعو الباحثين لدراسته وإبرازه لحث الأفراد والمجتمعات على تطبقيه والعمل به.

أهداف البحث:

١/ تتبع ألفاظ الإحسان الواردة في القرآن الكريم؛ لإيضاح مفهوم الإحسان الوارد في القرآن الكريم.

٢/ التعرف على صور الإحسان المتعلقة بالتعامل مع الآخرين المذكورة في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع والسؤال للمراكز العلمية وجدت عدداً من الكتب والأبحاث تتحدث عن الإحسان من عدة جوانب، منها:

١/ كتاب (مقدمة في فقه أصول الدعوة)، شرح حديث جبريل عليه السلام: الإسلام والإيمان، والإحسان، للأستاذ أحمد سلّام، تحدث فيه عن أهمية الدعوة مستشهداً بحديث جبريل عليه السلام، مقتصراً في الإحسان على تعريفه وذكر الإحسان في العبادة فقط.

٢/ الترهيب من أكل مال اليتيم، والترغيب في الإحسان إلى الأرملة والمسكين

واليتيم، للأستاذ أبو عبد الرحمن الأثري، كما هو ظاهر من العنوان فقد اقتصر المؤلف على مجال واحد من مجالات الإحسان وهو الإحسان إلى الأرملة واليتيم والمسكين.

٣/ بحث بعنوان: الإحسان: أهميته وأقسامه، وثمراته، كتبه: د. مسفر بن سعيد الغامدي عام ١٤٢٠هـ، تناول فيه أهمية الإحسان، وذكر فيه أن الأعمال تتفاضل بحسب فعلها بالإحسان وعدمه، ومثل بالتقوى والإحسان، والتقوى والعفو والصفح وغيرها، ثم ذكر ثمرات الإحسان وفيها: الخلود في جنات النعيم، حب الله للمحسنين وتفضله عليهم وغيرها.

مشكلة البحث:

تحدث عدد من الباحثين عن الإحسان شرحاً وبياناً؛ إلا أنهم اقتصروا في كتاباتهم على جانب الأعمال القلبية في عبادة الله ﷻ، أو على جانب إعانة الفقراء والمحتاجين وعيادة المرضى، مع كون السياقات التي جاء فيها في القرآن الكريم تدل على معانٍ أوسع مما ذكروه، فهو يشمل كل جوانب حياة الإنسان، علاقته مع الآخرين، ومع مجتمعه، ومع الكون من حوله، يسعى هذا البحث لبيان مفهوم الإحسان، وصوره التي جاء بها في القرآن الكريم المتعلقة بالتعامل مع الآخرين؛ للدلالة عليها، والتنبيه لها، ولأهميتها للفرد في نفسه وعبادته وتعامله مع كل ما خلقه الله – تعالى–.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، فتتبعت لفظ الإحسان ومشتقاته في النصوص القرآنية، ثم قمت بتحليلها ومعرفة المراد منها، ومعانيها من خلال أقوال علماء التفسير، ثم قسمتها في مبحثين تتضمن عناوين، وضعت تحت كل

عنوان ما يتعلق به، وفق منهج التفسير الموضوعي، واستشهدت له بنصوص من السنة النبوية.

خطة البحث:

يتضمن هذا البحث مقدمة، ومبحثين، ثم خاتمة، يليها فهرس للمصادر والمراجع.

أما المقدمة، ففيها ذكر لأهمية الموضوع، وأهداف البحث، وخطته، ومنهجه.

والمبحث الأول: مفهوم الإحسان في القرآن الكريم.

وأما المبحث الثاني: صور الإحسان المتعلقة بالتعامل مع الآخرين في القرآن الكريم.

وخاتمة تتضمن نتائج البحث وتوصياته، يليها فهرس المصادر والمراجع.

* * *

المبحث الأول
مفهوم الإحسان في القرآن الكريم

الإحسان لغة: مشتق من (حسن)، نعت لما حَسُن، ضده الإساءة والقبح، وهو مصدر أحسن يحسن إحساناً[(١)]، يقال: أحسن عمرو: أتى بالحسن، وأحسن فعل الشيء: أتى به حسناً، وأحسن إلى عمرو: أسدى إليه خيراً[(٢)]، فهو على هذا يتعدى بنفسه، ويتعدى كذلك بغيره[(٣)]، وهو في عمومه إتقان العمل، وفعل ما ينبغي فعله من الخير والفضل[(٤)]، وقال ابن جزي[(٥)]: "الإحسان له ثلاثة معان: فعل الحسنات،

(١) ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور المتوفى سنة: ٣٧٠هـ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ١٨٣/٤. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين المتوفى سنة: ٣٩٥هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ٥٧/٢.

(٢) ينظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي المتوفى سنة: ٦٦٦هـ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ص٧٣.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المتوفى سنة: ٦٧١هـ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، ١٦٦/١٠.

(٤) ينظر: كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني المتوفى سنة: ٨١٦هـ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م، ص١٢.

(٥) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي، يكنى بأبي القاسم، برع في فنون العربية والفقه والأصول والأدب والحديث، له مصنفات منها: وسيلة المسلم في تهذيب مسلم، والبارع في قراءة نافع، توفى سنة: ٧٤١هـ.
ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة: ٨٥٢هـ، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد، الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. ٨٩/٥.

والإنعام على الناس، ومراقبة الله – تعالى– المشار إليها في قوله ﷺ في حديث جبريل عليه السلام: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**»[1]"[2]، والإحسان والإنعام والإفضال: نظائر[3].

الإحسان في الاصطلاح: الإحسان هو أن يفعل العبد ما أمر به بصورة حسنة، سواء كان هذا الإحسان لنفسه أو للناس[4]، وسواء تعلق بالعقائد أو بالعبادات أو بغيرهما، وحقيقةُ الإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائقِ فيكون حسنُها الوصفيُّ مستلزِم لحسنها الذاتي[5]، وهو كقوله– عليه الصلاة والسلام– في تعريفه للإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، فيستحضر قربه وأنه بين يديه، فيتقن العبادة ويحسن العمل.

ومعنى الإحسان يختلف باختلاف السياق الذي يجيء فيه، وذلك ظاهر في القرآن الكريم فقد ورد في عدة مواضع بمعانٍ مختلفة على حسب السياق، فمن هذه المعاني:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي– صلى الله عليه وسلم– عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، رقم الحديث (٥٠)، ١٩/١. وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر، رقم الحديث (٨)، ٣٦/١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، ابن جزي الكلبي الغرناطي المتوفى سنة: ٧٤١هـ، د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ. ٣٢/١.

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي المتوفى سنة: ٧٤٥هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٣٥٢/١.

(٤) ينظر: مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨هـ، اعتنى به وخرج أحاديثه: عامر الجزار، أنور الباز، ط٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، دار الوفاء، المنصورة، ١٩/١٥.

(٥) ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٥٣/٥.

١- جاء بمعنى الإيمان في قوله - تعالى-: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥﴾[المائدة:٨٥]، أي: الموحدين المخلصين في إيمانهم، فهم قد أحسنوا بأن وحدوا الله توحيدًا خالصًا لم يشركوا فيه معه أحد، وأقروا بصدق أنبياء الله، وصدق الكتب التي جاءوا بها من عند الله، وأدوا فرائضه واجتنبوا معاصيه وذلك كمال إحسان المحسنين(١).

٢- جاء بمعنى إتقان العمل في قوله - تعالى-: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾[السجدة:٧]، والمعنى: الذي أتقن كل شيء خلقه وأحكمه(٢)، ومنه: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾[التغابن:٣]، وقوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾[التين:٤].

٣- جاء بمعنى الفضل والزيادة في قوله - تعالى-: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾[النساء:٨٦]، والخطاب للمسلمين أن إذا سلم أحدكم، فردوا عليه بأفضل مما سلم بأن يزاد في رد السلام

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٥١٢/١٠.

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. ٥٧٥١/٩.

وهو المراد بالحُسن، أوردوا عليه بمثل ما سلم[1].

٤- جاء بمعنى الصدق في قوله - تعالى-: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[يوسف:٣]، ومنه قوله - تعالى-: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾[الزُّمَر:٢٣]، فأحسن الحديث: أصدقه، وأحسن القصص. أي: أصدقها[2].

٥- جاء بمعنى الجنة والجزاء على العمل في قوله - تعالى-: ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس:٢٦]، فقد وَعَد الله - تعالى- المحسنين من عباده أن يجزيهم على أعمالهم الصالحة بالحسنى؛ وهي الجنة، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها؛ وهي أن يكرمهم - تعالى- بالنظر إليه، وأن ينعم عليهم بغُرف من لآلئ، وأن يزيدَهم مغفرة ورضوانًا[3].

٦- جاء بمعنى الفعل الحسن في قوله - تعالى-: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ﴾[التوبة:١٠٧]، أي: وسيحلف من قام ببناء مسجد الضرار أنه لم يرد ببنائه له إلا الحسنى، رفقاً بالمسلمين، ومنفعة وتوسعة على الضعفاء الذين يعجزون عن

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠/١٩٩٩م. ٣٦٨/٢. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١/ ١٤١٤هـ. ٥٦٩/١.

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥ م. ٢٠٥/٦.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٧١/١٥.

المسير إلى مسجد النبي ﷺ لأداء الصلوات فيه، فهذا هو الفعل الحسن الذي ادعوا أنهم أرادوه[١].

٧- جاء بمعنى العمل الصالح، في قوله - تعالى-: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ۝٣٠**﴾[الكهف:٣٠]، أي: أن من أحسن في عمله بأن عمل الأعمال الصالحة؛ فالله ﷻ لا يضيع أجره، بل يجازيه بعمله الحسن الجزاء الأوفى[٢].

وقد جاء التنصيص في القرآن الكريم على بعض الأعمال الصالحة ووصفت بالحسن من ذلك:

* وصف الصابرين بأنهم من المحسنين؛ في قوله - تعالى-: ﴿**وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١١٥**﴾[هود:١١٥].

* كما وصف العافين عن الناس بكونهم محسنين؛ في قوله - تعالى-: ﴿**ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤**﴾[آل عمران:١٣٤].

* ووصف من يقوم الليل للتهجد والاستغفار بكونه من المحسنين؛ وذلك في قوله - تعالى-: ﴿ **إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ۝١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨**﴾ [الذاريات:١٦-١٨].

---

(١) ينظر: السابق: ١٤/٤٧٠.

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي المتوفى سنة: ١٣٩٣هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٣/٢٧١.

* ومن الأعمال الموصوفة بالحسن عمل من يجاهد بنفسه وماله، في قوله – تعالى–: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت:٦٩].

هذه بعض المعاني الواردة في القرآن الكريم والتي تدل على أن مفهوم الإحسان واسع، فكل عمل طيب وصنيع متقن يصح وصفه بالحسن، وهو كذلك يشمل كل عمل وكل تعامل، في علاقة العبد بربه، وعلاقته بأسرته، وعلاقته بمجتمعه، وعلاقاته بالبشرية والكون جميعاً(١)، والمحسنون هم الذين عبدوا الله على وجه المراقبة في عبوديتهم له، فاستشعروا قربه ورؤيته لهم، وقاموا بما استطاعوا ليحسنوا في عبادتهم له قولاً وفعلاً، فأحسنوا إلى خلق الله بما يقدرون عليه من الإحسان في أموالهم بالبذل والعطاء، والإحسان في أبدانهم بأن أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فنصحوا المعرضين، وعلموا الجاهلين، وغير هذا من وجوه البر والإحسان(٢).

* * *

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي المتوفى سنة: ١٣٨٥هـ، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ. ٢١٩٠/٤.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي المتوفى سنة: ١٣٧٦هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م، ص٣٦٢.

المبحث الثاني
صور الإحسان المتعلقة بالتعامل مع الآخرين
في القرآن الكريم

الإحسان هو أعلى مراتب الدين، وقد جاء الأمر به في قوله – تعالى–: ﴿**۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠**﴾[النحل:٩٠]، وهذه آية من أجمع الآيات في الأمر بكل خير والنهي عن كل شر، وكما أحسن الله للعبد بإحسان خلقه ﴿**وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ**﴾[غافر:٦٤]، مع إنعامه عليه، وصرفه الضر عنه، عليه هو أن يُحسِن، ﴿**وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧**﴾[القصص:٧٧]، وإحسانه يكون بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، وإتقان العمل، والإنعام والتفضل على الآخرين، والإحسان لخلق الله كلهم، وعلى هذا فالمأمور به من الإحسان قسمان:

الأول: قسم واجب، وهو أن تقوم بما يجب عليك تجاه من أمرك الله بالإحسان إليهم.

والثاني: المستحب، وهو كلما زاد على الأول من بذل العبد لمنفعة مالية، أو بدنية، أو علمية، أو دلالة لخير في الدين، أو مصلحة في الدنيا، فكل معروف يؤديه العبد ابتغاء مرضاة الله صدقة، وكل ما هدف منه العبد لإدخال السرور على الخلق، أو إزالة

ما يكرهون، أو دفع مالا يرتضون فكله صدقة وإحسان[1]، وهو عند إحسانه ينال الجزاء الذي هو من جنس العمل: ﴿**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾[الإسراء:٧]، قال ابن عطية[2]: "وَالإِحْسانِ هو فعل كل مندوب إليه، فمن الأشياء ما هو مندوب إليه، ومنها ما هو فرض، إلا أن حد الإجزاء منه داخل في العدل، والتكميل الزائد على حد الإجزاء داخل في الإحسان"[3].

وقد جاءت في القرآن الكريم صور عديدة من الإحسان، تضمنت إحسان الله في خلقه للخلق، وإحسانه في تقديره للأقدار التي تصيبهم، وإحسانه المتضمن إنعامه عليهم وتوفيقه لهم.

كما تضمن القرآن الكريم إحسان العبد في عبادته لله، وهو ما ذُكر في حديث النبي ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، وهو مراقبة الله في كل ما يفعله العبد مستشعراً بأن الله يراه، كما تضمنت صوراً من إحسان العبد

(١) ينظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد السعدي المتوفى سنة: ١٣٧٦هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٣هـ. ص١٢٨.

(٢) هو: عبد الحق بن غالب بن عبد بن عطية أبو محمد الغرناطي القاضي، الإمام الكبير قدوة المفسرين، كان فقيهاً، عارفاً بالأحكام، والحديث، والتفسير، بارع في الأدب، بصير بلسان العرب، واسع المعرفة، له يد في الإنشاء والنظم والنثر، له التفسير المشهور المسمى: المحرر الوجيز، توفى سنة ٥٤١هـ.
ينظر: طبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى سنة: ٩١١هـ، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٣٩٦/١هـ. ص٦١. طبقات المفسرين، محمد بن علي ابن أحمد، شمس الدين الداوُدي المالكي المتوفى سنة: ٩٤٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت. ٢٦٦/١.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي المتوفى سنة: ٥٤٢هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ه. ٤١٦/٣.

لأقاربه وأصحاب الحاجات، وصوراً من إحسانه في كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال، ومقياسه في ذلك أن يكون هذا الفعل الحسن هو مما استحسنه الله منه، وليس مما يستحسنه العبد بنفسه فقط، فإن الفاسق ربما يكون الفسق في نظره حسناً، وهو ليس بحسن(١).

وما يعنينا هنا هو صور الإحسان المتعلقة بما يصدر عن الشخص تجاه غيره في القرآن الكريم، وهي تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: أصناف أمر الله بالإحسان إليهم، وهم:

الصنف الأول: من بينهم وبين الإنسان قرابة:

وذكر منهم الوالدين، فأمر – تعالى– بالإحسان إليهم في كثير من المواضع في كتابه، قال – تعالى–: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[البقرة:٨٣]، فجعله أمراً؛ كأنّه يقول: وإحساناً بالوالدينِ. أي: أَحْسِنُوا إلى الوالدين إحْسانا(٢).

وقد قرن الله بين عبادته والإحسان إلى الوالدين فقال: ﴿**۞وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا**﴾[النساء:٣٦]، كما قرن بين الشكر له – تعالى–، والشكر للوالدين في قوله – تعالى–: ﴿**أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ**﴾[لقمان:١٤]، وقد ذكر

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفى سنة: ٦٠٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ. ٣٧٧/٢٩.

(٢) ينظر: معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط المتوفى سنة: ٢١٥هـ، تحقيق: د.هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م. ١٣٤/١.

العلماء تعليلاً لهذا في وجوه:

الوجه الأول: أن نعمة الوالدين أعظم النعم بعد نعمة الله – تعالى– على العبد، وذلك أنهما الأصل، وهما السبب في وجود هذا الابن بإذنه – تعالى–،كما أنهما متفضلان عليه بتنشئته وتربيته.

الوجه الثاني: أن الله – تعالى– لا يطلب بإنعامه على العبد عوضاً، وكذلك الوالدان، فإنهما لا يطلبان مقابلاً على إنعامهما على الولد بالتنشئة والتربية والإحسان إليه.

الوجه الثالث: أن الله – تعالى– ينعم على العبد بفضله وكرمه ولو أتى بالجرائم العظام، وكذا الوالدان لا يقطعان عن الولد كرمهما وحنانهما، وإن كان الولد مسيئاً لهما[1].

والإحسان أقصى البر، يدخل فيه كل ما يجب للوالدين من الرعاية والعناية، في حياتهما من معاشرتهما بالمعروف، وامتثال ما يأمران به، والتواضع بحضرتهما، وبعد مماتهما بالدعاء لهما بالمغفرة، وصلة أهل ودهما[2]، ومنه أيضاً الحرص على فعل المعروف والقول الجميل لهما، والرأفة بهما، والتحنن عليهما، والدعاء بكل خير لهما، ونحو هذا من الإحسان والبر الذي أمر الله عباده أن يفعلوه لهما[3]، وعليه ألا يؤذيهما وإن كانا كافرين، وأن يدعوهما إلى عبادة الله باللين والرفق، وكذا إن كانا فاسقين

(١) ينظر: التفسير الكبير ٥٦٨/٣.
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢.
(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٢٩٢/٢.

يحسن خطابهما بالمعروف من غير غلظة وجفاء[١].

وممن أمر الله بالإحسان إليهم قرابة العبد، وهم من يربطه بهم رحم من قبل الأب أو الأم، وقد أمر الله – تعالى– بالإحسان إليهم في قوله – تعالى–: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[النساء:٣٦]، فذكر الوالدين ثم ذوي القربى تقديماً للأوكد؛ إذ الوالدان هما أحق في الإحسان إليهما، ثم أتبعهما بذي القربى؛ لمشاركتهما الوالدين في القرابة، ولأن صلة الأرحام مؤكدة أيضاً[٢] في نصوص كثيرة، قال – تعالى–: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[النساء:١]، فعطفه (وَالأَرْحَامَ) على لفظ الجلالة تعظيم لأمر الرحم[٣]، والمعنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها[٤]، وقال – تعالى–: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[الإسراء:٢٦]، وهذا في الآية من الأمر بصلة الرحم وحفظها بأداء حقها[٥]، فالإحسان إليهم يكون بصلتهم، والإنفاق عليهم، والقيام بما يحتاجون إليه بحسب وسع العبد وما تبلغ إليه قدرته[٦]، مع الصبر على آذاهم وتحمل إساءاتهم، كما أمر النبي ﷺ الصحابي الذي

(١) ينظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي المتوفى سنة: ١٣٠٧هـ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بيروت، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م. ٢١٣/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٤٥٩/١.

(٣) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى سنة: ٥٠٢هـ، من أول سورة آل عمران، وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل ابن علي الشِّدِي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣م. ١٣٢٥/٣.

(٤) ينظر: جامع البيان ٥٢٣/٧.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز ٥٠/٢.

(٦) ينظر: فتح القدير ١٢٦/١.

اشتكى إليه أذى قرابته بعد قوله له: يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلِي، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فقال: «**لَئِنْ كُنْتَ كما قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ**[1]، **ولا يَزَالُ مَعَكَ من اللَّهِ ظَهِيرٌ عليهم ما دُمْتَ على ذلك**»[2]، فأخبر النبي ﷺ هذا المحسن بأن لا شيء عليه، وأن الإثم العظيم عليهم في قطيعته وإدخال الأذى عليه[3].

ويدخل تحت هذا الصنف من الذين أمر الله بالإحسان إليهم: الزوجة، جاءت نصوص الشريعة بالإحسان إليها فقال – تعالى–: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾[النساء:١٩]. أي: صاحبوهن بالمعروف[4].

وقد ذهبت طائفة من المتقدمين إلى أن المراد بالصاحب بالجنب الذي جاء الأمر بالإحسان إليه في قوله – تعالى–: ﴿**۞وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ**﴾[النساء:٣٦]، أنها الزوجة[5]، والإحسان إليها يكون بالإحسان في كلامها،

---

(١) الملّ: هو الرماد أو التراب الحار.
ينظر: غريب الحديث، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى سنة: ٥٩٧هـ، تحقيق: د. عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ٣٧٣/٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث (٢٥٥٨). ١٩٨٢/٤.

(٣) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة: ٦٧٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ. ١١٥/١٦.

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي ٨٤/٣.

(٥) ينظر: جامع البيان ٣٤٢/٨.

وبرها، والإنفاق عليها، واجتناب ما لا يليق بها من الشتم والإيذاء، وغير ذلك[١].

كما قال النبي ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**»[٢]. أي: أوصيكم بهن خيراً فاقبلوا وصيتي فِيهِنَّ، وارفقوا بهن وأحسنوا عشرتهنّ فَإِنّهن خُلِقْنَ من ضلع، وقال ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي**»[٣].

وقد جاءت نصوص الشريعة بكيفيات أخرى للإحسان إلى الزوجة فمن ذلك الدعاء بصلاح الأهل وبأن يقر الله عينيه برؤية صلاحهم وطاعتهم[٤]، قال – تعالى–: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴿٧٤﴾﴾[الفرقان:٧٤].

ومن ذلك معاونة أهله في أعمال البيت، وقد فعل ذلك النبي ﷺ، حيث سئلت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «**كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ**»[٥].

---

(١) ينظر: تفسير الماتريدي ٨٤/٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، برقم (٣٣٣١). ١٣٣/٤.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه برقم (١٩٧٧) ٦٣٦/١. والترمذي في سننه برقم (١١٦٢) ٤٥٧/٢. قال الألباني: "صحيح".

(٤) ينظر: جامع البيان ٣١٨/١٩.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: ما كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة، برقم (٦٧٦). ١٣٦/١.

ومن ذلك العدل بين نسائه في النفقة والمبيت وفي كل ما يجب لهن قال – تعالى–: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾[النساء:٣].

وهذا العدل المأمور به في ما هو دون الميل القلبي، وهو الذي قال الله فيه: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٢٩﴾[النساء:١٢٩].

فإن كره الرجل من امرأته دَمامة أو خُلُقًا فعليه بالصبر عليها، وإيفاءها حقها، وعشرتها بالمعروف، ويتقي الله فيها بترك الجور فيما يجب لها من حقوقها، من القسمة، والنفقة، والعشرة بالمعروف[1]، فالله – تعالى– يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[النساء:١٩]، ويقول: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[النساء:١٢٨].

والإحسان المأمور به في هذه الآية خطاب للأزواج، يعني وإن تقيموا على أزواجكم إحساناً منكم، مع كرهكم لهن وتيقنكم من حصول النشوز والإعراض، وما يؤدي إليه من الأذى والخصومة؛ فإن الله كان خبير بما تعملون من الإحسان والتقوى، وهو مثيبكم عليه لا محالة[2].

(١) ينظر: جامع البيان ٢٨٤/٩.
(٢) ينظر: التفسير الكبير ٢٣٧/١١.

فإن استحالت العشرة بين الزوجين فلهما أن يفترقا افتراقاً مشروطاً بالإحسان، قال – تعالى–: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[البقرة:٢٢٩].

وإنما أمر بالإحسان في تسريح المرأة لأن في (التسريح) قطع الحقوق التي أوجبها النكاح، فأمر عند قطعها عنها بالإحسان إليها[١]، بأن يسرحها ولا يظلمها شيئاً من حقها، ولا يؤذيها ويشتمها، ويعطيها مهرها إن كان عليه لها شيء من المهر، ويدعها حتى تمضي عدتها[٢].

كما أمر الزوج بأن لا يأخذ على فراقه للمرأة شيئاً من مالها، فالله يقول: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ﴾[البقرة:٢٢٩]، وهنا نص على حالة يجوز له أن يأخذ من مالها، وذلك عند الافتداء وهو الخلع بالمعروف، إذا أبغضت المرأة زوجها، وخافت ألا تطيع الله فيه، فتدفع له مقابل فراقها[٣].

ومن هذا الصنف الذين جاء الأمر بالإحسان إليهم: الأولاد، وذلك أنهم مسؤولية الوالدين كما في قول النبي ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسؤولٌ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْؤولَةٌ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ**

(١) ينظر: تفسير الماتريدي ١٦٥/٢.
(٢) ينظر: جامع البيان ٤٨٥/٤.
(٣) ينظر: تفسير السعدي ١٠٢/١.

مَسْؤولٌ»[1].

وإنما كانت هذه المسؤولية؛ لأن الأولاد ودائع عند والديهم يقومون على مصالحهم الدينية والدنيوية، فيعلمونهم ويؤدبونهم ويكفونهم عن المفاسد، ويأمرونهم بطاعة الله وملازمة التقوى على الدوام، وإذا رأوا منهم معصية لله ردعوهم وزجروهم عنها[2]، وهو الواجب على الوالدين تجاه أولادهم المذكور في قوله – تعالى–: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ**﴾[التحريم:٦]، فالأولاد وصية الله عند والديهم، فإما أن يقوم الوالدان بتلك الوصية، وإما أن يضيعوها فيستحقوا بذلك العقاب من الله – تعالى–[3].

ومن الإحسان إليهم كذلك الدعاء لهم بالصلاح والهداية كما في قوله – تعالى–: ﴿**رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝٤٠**﴾[إبراهيم:٤٠]، وقوله: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤**﴾[الفرقان:٧٤].

ومن الإحسان لهم أن يشعرهم الأب بحبه وتقديره لهم واهتمامه بهم، وإحاطتهم بعنايته، ومراعاة حاجتهم النفسية والجسدية، واعتبار ضعفهم وقلة حيلتهم واعتمادهم على والديهم، فقد جاء عن النبي ﷺ الحث على ذلك في العموم بقوله: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ**

(١) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: قو أنفسكم وأهليكم نارا، برقم (٥١٨٨). ٢٦/٧. وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم (١٨٢٩). ١٤٥٩/٣.

(٢) ينظر: جامع البيان ٤٩٢/٢٣.

(٣) ينظر: تفسير السعدي ١٦٦/١.

لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»[١]، ولذلك كان النبي ﷺ يأخذ الحسن وأسامة بن زيد ويقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا**»[٢]، مشعراً لهما بحبه، ومحيطاً لهما بعنايته.

وفي صورة من صور إحسان النبي ﷺ للصغار؛ ما رواه عبد الله بن شداد عن أبيه قال: "خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةَ أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: «**كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ**»"[٣].

وفي صورة أخرى من إحسانه إلى الصغار ورحمته بهم ما روي من «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلأَبِي العَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا**»[٤].

وقد جاءت نصوص الشريعة مؤكدة على الإحسان إلى البنات لضعف قوتهن، وقلة

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٩٤٣). ٢٨٦/٤. والترمذي في سننه برقم (١٩١٩) ٣٨٥/٣. قال الألباني: "صحيح".

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، برقم (٣٧٤٧)، ٢٦/٥.

(٣) أخرجه النسائي في سننه برقم (١١٤١). ٢٢٩/٢. قال الألباني: "صحيح".

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، برقم (٥١٦). ١٠٩/١.

حيلتهن، واحتياجهن إلى التحصين، مع كراهة كثير من الناس لهن، بخلاف الصبيان الذين يختلفون عنهن في جميع ذلك[1].

قال النبي ﷺ: «**مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ شَيْئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**»[2]، وعنه: «**مَنْ عَالَ ثَلاثَ بَنَاتٍ، فَأَدَّبَهُنَّ، وَزَوَّجَهُنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، فَلَهُ الْجَنَّةُ**»[3]، والمراد من الإحسان لهن هنا قدر زائد عما هو واجب لهن؛ من القيام على شؤونهن بالنفقة والكسوة وغيرها، ويدخل فيه صيانتهن، وتغليب أصلح الأحوال لهن، وتأديبهن، وزجرهن عما لا يليق بهن، مع تعليمهن ما يجب تعليمه لهن مما يحتجن إليه، وعدم إظهار الضجر منهن، ولا الجفاء والكراهة لهن، ولا استثقالهن؛ فإن ذلك يكدر الإحسان[4].

الصنف الثاني: من هو ضعيف محتاج إلى الإحسان، وهم:

(أ) اليتامى، جمع يتيم، وهو كل مَن فقد والده قبل البلوغ من ذكر أو أنثى، وأوصى الله - تعالى- بالإحسان إليهم والعناية بهم في نصوص كثيرة منها قوله - تعالى-: ﴿**وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ**

(١) ينظر: التَّفْسيرُ البَسيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي المتوفى سنة: ٤٦٨هـ، تحقيق: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ. ٢٢/٢٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، برقم (٥٩٩٥). ٧/٨.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٥١٤٧)، ٣٣٨/٤. والترمذي في سننه برقم (١٩١٦)، ٣٨٤/٣. قال الألباني: "صحيح".

(٤) ينظر: طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي المتوفى سنة: ٨٠٦هـ، أكمله: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين ابن العراقي المتوفى سنة: ٨٢٦هـ. ٦٧/٧-٦٨.

﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾[النساء:٣٦]، وإنما أمر بالإحسان إليهم؛ لأنه ليس لهم من يربيهم ويقوم على شؤونهم، فهم أهل للإحسان، بالعطف عليهم، ورعايتهم، وتربيتهم، والإنفاق عليهم، قال – تعالى–: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾[البقرة:٢١٥]، مع دعوة الشريعة للتلطف لهم بالقول كما في قوله – تعالى–: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٨﴾[النساء:٨].

وقد دعت الشريعة كذلك إلى الإحسان إليهم بحفظ أموالهم، ودعت الأوصياء إلى ذلك[١] في قوله – تعالى–: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾[الأنعام:١٥٢]، وإنما ذكر مال اليتيم دون غيره مع كون مال غيره بمثابته في التحريم؛ وذلك لكون الطمع فيه أقوى؛ لقلة من يراعيه ويقوم عليه، فكان أولى بالذكر[٢].

ولحث المسلمين على الإحسان إلى اليتامى؛ فقد جاءت نصوص الشريعة تبين أجر من يحسن إلى الأيتام، فعن النبي ﷺ قال: «**ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت**

(١) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي المتوفى سنة: ٤٦٨هـ، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م. ٤٩/٢. التفسير الكبير ٧٦/١٠.

(٢) ينظر: النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي المتوفى سنة: ٤٥٠هـ، تحقيق: سيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٨٧/٢.

أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه»[1]، وقال رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى**»[2]، وقد شكى رجل إلى النبي ﷺ قسوة قلبه فقال له: «**أطعم المسكين وامسح رأس اليتيم**»[3].

(ب) الفقراء والمساكين، والفقراء جمع فقير، والفقير: هو كسير الظهر، والفقر: الكسر، والفقار: عظم في الظهر يكسر[4]، والمفقور: الذي نـــزعت فقره من ظهره من شدة الفقر، ولا حال أشد من هذه، وقد أخبر الله عنهم بقوله: ﴿**لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا**﴾[البقرة:٢٧٣]، فصار الفقير بمنـــزلة من انقطع صلبه ولصق بالأرض من الحاجة[5]، والفقير الذي يجد دون كفايته[6].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٢١٥٣)، قال محققه: "حسن لغيره" وفي أوله: "مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِـــيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ" هذا الشطر منه ضعفه المحقق.
ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المتـــوفى سنة: ٢٤١هـــ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحســـن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـــ/٢٠٠١م. ٤٧٤/٣٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: فضل من يعول يتيماً، رقم الحديث (٥٦٥٩). ٥٣/٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٧٥٧٦)، قال المحقق: "في سنده ضعف لجهالة الراوي" ينظر: مســـند أحمد بن حنبل ٢٢/١٣، وقال ابن حجر في فتح الباري (١٥١/١١): "ولأحمد من حديث أبي هريـــرة أن رجلا شكا إلى النبي ﷺ قسوة قلبه فقال: «**أطعم المسكين وامسح رأس اليتيم**»، وسنده حسن"، وكذلك حسن سنده بدر الدين العيني في عمدة القاري ٣٠٦/٢٢.

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي ٣٥١/١٠.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦٩/٨.

(٦) ينظر: النكت والعيون ٣٧٤/٢.

والمساكين جمع مسكين، وهو مفعيل من المسكنة[١]، والمسكنة الفاقة والحاجة، وهي خشوعها وذلها، والمساكين أهل الفاقة والحاجة من المسلمين[٢]، وهم الذين يتجملون فلا يبدون حاجتهم ولا يسألون[٣]، وصفهم النبي ﷺ بقوله: «**الْمِسْكِينُ: الْمُتَعَفِّفُ الذي لا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا، وَلا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ**»[٤].

وذهب جماعة من السلف إلى أن الفقير والمسكين سواء لا فرق بينهما في المعنى، وإن افترقا في الاسم، وذهب الجمهور إلى أنهما صنفان يجمعهما قلة المال والفاقة، ولعل المسكين أشد فاقة؛ لأنه لا شيء له، والفقير من له بعض ما يكفيه ويقيمه[٥].

والإحسان إليهم يكون بإحسان القول لهم لقوله- تعالى-: ﴿**وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ** ﴿١٠﴾﴾[الضُّحى:١٠]، وبإيتائهم حقوقهم التي جعلها الله لهم[٦]، في قوله - تعالى-: ﴿**فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴿٣٨﴾﴾[الروم:٣٨]، وتفقد أحوالهم والسؤال عنهم، والإنعام عليهم بالمال والطعام، عن النبي ﷺ قال: «**الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله،**

(١) ينظر: جامع البيان ٢/٢٩٣.
(٢) ينظر: السابق: ٢/١٣٧.
(٣) ينظر: النكت والعيون ٢/٣٧٤.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٣٦٣٦). قال المحقق: "صحيح لغيره". ٦/١٤٥. وأخرجه أبو داود في سننه برقم (١٦٣٢). قال المحقق: "سنده صحيح". ينظر: سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني المتوفى سنة: ٢٧٥هـ، شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩م. ٣/٧٤.
(٥) ينظر: البحر المحيط ٥/٤٤١.
(٦) ينظر: جامع البيان ٢/٢٩٢.

أو القائم الليل الصائم النهار»[1].

(ج) ابن السبيل، وهو الذي انقطعت به الأسباب عن ماله وبلده ومستقره[2]، كالمسافر، والضيف الّذي يحلّ ويرتحل، والسبيل هو الطريق، سمي ابن السبيل بهذا؛ لملازمته الطريق، كما سمي ابن الماء لملازمته له[3]، وإنما أمر الله بالإحسان إليه لكونه جمع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال[4]، قال - تعالى-: ﴿**۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ**﴾[النساء:٣٦]، والإحسان لابن السبيل يكون بأن يعينه إن احتاج إلى معونة، وبأن يدفع إليه ما يكفيه إلى أن يبلغ مقصده[5]، ويضيفه ويكرمه إن احتاج إلى ضيافة، وأن يحمله إن احتاج إلى ما يحمل عليه[6]، مع إيتاءه الصدقات والزكاة التي أمر الله له بها[7] في نحو قوله - تعالى-: ﴿**۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ**﴾[التوبة:٦٠]، وذلك هو الإحسان

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل، برقم (٥٣٥٣)، ٦٢/٧. وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين، برقم (٢٩٨٢) ٢٢٨٦/٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨٧/٧.

(٣) ينظر: جامع البيان ٣٤٦/٣.

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله المتوفى سنة: ٥٣٨هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ. ٢٨٣/٢.

(٥) ينظر: التفسير الكبير ٣٢٨/٢٠.

(٦) ينظر: جامع البيان ٣٤٧/٨.

(٧) ينظر: تفسير الماتريدي ٢٨٠/٨.

الذي أمر الله له به، وهو الحق المذكور في قوله – تعالى–: ﴿**فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ**﴾[الروم:٣٨].

(د) ملك اليمين، وهم الرقيق، وإنما أضيف الملك إلى اليمين لاختصاصها بالتصرف ومماليك الرجل تحت يده، وهو المتعارف عليه في الناس، وهي كما يقال: مشَتْ رجلك، وتكلم فوك، وبطشت يدك[(١)]، وقريب من هؤلاء في زماننا الخدم ومن في حكمهم.

وإنما أمر بالإحسان إليهم لأن الله جعلهم أذلاء تحت أيدي من يستخدموهم ويستعملوهم في حوائجهم، ولأن أمثالهم في حاجة المطعم والمشرب والملبس[(٢)]، فالرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس[(٣)]؛ ولذلك جاءت نصوص الشريعة تحث على الإحسان إليهم، فمنها قوله – تعالى–: ﴿**۞وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ**﴾[النساء:٣٦]، ومنها قول النبي ﷺ في مرض موته: «**الصَّلاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»[(٤)].

---

(١) ينظر: جامع البيان ٣٤٨/٨.

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي ١٧٩/٣.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير ٣٠١/٢.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه برقم (١٦٢٥). وأخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم (٧٠٥٧). قال الألباني: "صحيح".

ينظر: سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المتوفى سنة: ٢٧٣هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي. ٥١٩/١. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي المتوفى سنة: ٣٠٣هـ، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. ٣٨٧/٦.

وقد بين النبي ﷺ شيئاً من كيفية الإحسان إليهم في قوله: «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»(١).

ففي هذا الحديث حث النبي ﷺ السادة إلى الإحسان والتواضع؛ حتى لا يروا لأنفسهم فضلا على عبيدهم، فكلهم عباد الله – تعالى–، لكنه – تعالى– ملك بعضهم بعضاً، وسخر بعضهم لبعض، إتماماً للنعمة، وتنفيذاً للحكمة(٢).

ومن الإحسان الذي أراده الله – تعالى– ما جاء في حديث النبي ﷺ عن أصحاب الأجر، وفيه الإحسان إلى الإماء، قال: «**وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ**»(٣)، والمراد بإحسانه هنا: تعليمها وتأديبها باللطف والتأني واللين لا بالعنف والأذى(٤).

ومنه ما جاء في قوله النبي ﷺ: «**إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ، فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلاَجَهُ**»(٥).

الصنف الثالث: من له حقّ القُرب والمخالطة، وهم أنواع.

النوع الأول: الجار، سواء كان جاراً ذا قُربى، أو جاراً جُنباً، والجار بالعموم هو:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، برقم (٣٠). ١٥/١. وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، برقم (١٦٦١). ١٢٨٣/٣.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩٠/٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: تعليم الرجل أمته وأهله، برقم (٩٧). ٣١/١.

(٤) ينظر: عمدة القاري ١٢١/٢.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: العتق، باب: إذا أتاه خادمه بطعامه، برقم (٢٥٥٧). ١٥٠/٣.

الذي جاورك وقرب منـــزله من منـــزلك، وهو قسمان: جار ذو قرابة، فله حق الجوار، وحق الرحم[١]، وجار جنب؛ وهو الجار البعيد منك، فالجنب: البعد، ومنه اجتنب فلان فلاناً إذا بعد منه، ومنه قيل للجنب: جنب لبعده من الطهر والصلاة حتى يغتسل، ورجل أجنبي أي: بعيد غريب، فمعنى ذلك: والجار المجانب للقرابة. أي: البعيد منها[٢].

وفي المراد بالجار الجنب أقوال: أولها: أن المراد به الغريب الذي ليس بينك وبينه قرابة، قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء وآخرون.

وثانيها: أنه جارك عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك، رواه الضحاك، عن ابن عباس. وثالثها: أنه اليهودي والنصراني[٣].

وللجار مراتب بعضها أعلى من بعض، وهي ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، فأما الذي له حقوق ثلاثة فهو الجار المسلم القريب، له حق القرابة، وحق الإسلام، وحق الجوار، والذي له حقان فهو الجار المسلم، له حق الإسلام، وحق الجوار، والذي له حق واحد هو الجار الكافر، له حق الجوار خاصة[٤].

وقد جاء الأمر بالإحسان إلى الجار في نصوص كثيرة، منها قوله – تعالى–: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ

(١) ينظر: تفسير الماتريدي ١٧٣/٣.
(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١٣٢١/٢.
(٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى سنة: ٥٩٧هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ. ٤٠٤/١.
(٤) ينظر: تفسير الماتريدي ١٧٣/٣.

وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾[النساء:٣٦]، وقال النبي ﷺ: «**مَازَالَ جبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ**»(١)، وعنه أيضاً: «**إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْهُ جيرَانَكَ**»(٢)، وفي رواية «**ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ**»(٣)، وعنه: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ**»(٤).

والإحسان إلى الجار يكون بأن يتابع العبد جاره بالصدقة والهدية، والدعوة والسؤال، وتفقد الأحوال واللطف في القول والفعل، وإن استقرضه أقرضه، وإن استعانه أعانه، وإن احتاج أعطاه، وإن مرض عاده، وإن أصابه خير هنّأه، وإن حلت به نائبة عزّاه، وغير ذلك من أوجه الإحسان(٥).

وكلما كان الجار أقرب بابًا كان حقه آكد، فعن عائشةَ- رضي الله عنها- قالت: قلت: يا رسولَ اللَّه إنَّ لي جارينِ، فإلى أيهِما أُهدِي؟ قال: "**إلى أقربِهِمَا منك بابًا**"(٦)،

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: الوصاة بالجار، برقم (٦٠١٥). ٨/١٠. وأخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة، باب: الوصية بالجار والإحسان إليه، برقم (٢٦٢٤). ٤/٢٠٢٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة، باب: الوصية بالجار والإحسان إليه، برقم (٢٦٢٥)، ٤/٢٠٢٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة، باب: الوصية بالجار والإحسان إليه، برقم (٢٦٢٥)، ٤/٢٠٢٥.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، برقم (٤٨). ١/٦٩.

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/١٧٧.

(٦) أخرجه البخاري كتاب: الأدب، باب: حق الجوار في قرب الأبواب، برقم (٦٠٢٠). ٨/١١.

وإنما كان الجار الأقرب أحق بالهدية؛ لأنه يرى ما يدخل في دار جاره من الأرزاق وغيرها، فتتشوف نفسه لها، بخلاف الجار الأبعد داراً، مع كون الأقرب داراً أسرع في إجابة جاره حال المهمات والنوائب(١).

القسم الثاني: الصاحبُ بالجنبِ، وهو الذي صحبك بأن كان إلى جوارك وجنبك، وهذا يتحقق في المرأة، والرفيق في السفر، والشريك في التعلم، والقاعد إلى جنب الرجل في المجلس أو المسجد أو غير ذلك(٢).

وقد جاء الأمر بالإحسان إليه في قوله – تعالى–: ﴿**۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ**﴾[النساء:٣٦]، وقال النبي ﷺ: «**خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ**»(٣).

ومن الإحسان إلى الصاحب حفظ سره، والقيام على حاجته، وكف الأذى عنه، وقبول عذره، وستر عورته، وعدم تتبع زلاته، وإخلاص النصح له.

النوع الثاني من صور الإحسان في القرآن الكريم: ما يصدر عن العبد تجاه الآخرين مما هو من الإحسان، ووصف الله – تعالى– فاعله بالمحسن، وصوره كثيرة فمنها: الإحسان إلى العباد بحسن الخلق، وبذل النصح، وتفريج الكرب، وإعانة

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبدالسلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري المتوفى سنة: ١٤١٤هـ، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. ٣٧٣/٦.

(٢) ينظر: الكشاف ٥٠٩/١.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٦٥٦٦). ١٢٦/١١. وأخرجه الترمذي في سننه برقم (١٩٤٤). ٣٣٣/٤. قال الألباني: "صحيح"، وقوى إسناده شعيب الأرنؤوط وجعله على شرط مسلم.

الضعيف، وإغاثة الملهوف، وإطعام الجائع، والتصدق على المحتاج، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، والإصلاح بين الناس، ومنها:

١/ حسن الخلق مع الناس عامة، وفيه يقول النبي ﷺ: «**اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»(١). أي: تكلف معاشرة الناس بالمجاملة في المعاملة وغيرها، من نحو طلاقة الوجه، وخفض الجانب، والتلطف والإيناس إليهم، وبذل الندى، وتحمل الأذى(٢).

٢/ إيتاء الزكاة والتصدق على المحتاج، قال - تعالى-: ﴿**تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤**﴾[لقمان:٢-٤]، وقال - تعالى-: ﴿**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٦**﴾[التغابن:١٦]، فأمر- سبحانه- بالإنفاق في سبيل الله، وسد حاجة المحتاجين بإيتائهم الزكاة إن كانوا من أهلها، والتصدق عليهم، هذا الفعل من العبد يدخله في جملة المحسنين.

٣/ كظم الغيظ، قال - تعالى-: ﴿**ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤**﴾[آل عمران:١٣٤]، وكظم الغيظ هو حبس النفس وإمساكها عن معاقبة المستحق(٣)، ولكون هذا الفعل شديد على

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (١٩٨٧). ٣٥٥/٤. قال الألباني: "حسن".
(٢) ينظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري المتوفى سنة: ١٣٥٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٠٤/٦.
(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١١٢٨/٢.

النفس قال الرسول ﷺ حاثًّا الناس على امتثاله: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ**»(١).

٤/ الصبر على الأذى، ومقابلة السيئة بالحسنة، قال – تعالى–: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾**﴾[النحل:١٢٦-١٢٨]، وهذا من أجلّ أنواع الإحسان لما فيها من مجاهدة للنفس، قال – تعالى–: ﴿**وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾**﴾[فُصِّلَت:٣٤-٣٥]. أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة وهي كظم الغيظ إلا الّذين صَبَرُوا نفوسهم على ما تكره، وأقاموها على ما يحبه الله ويرضاه، فإن نفوس العباد قد جبلت على مقابلة من أساء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف تحسن إلى المسيء(٢).

٥/ العفو والصفح، والنصوص فيها كثيرة قال الله – تعالى–: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾**﴾[المائدة:١٣]، وقال: ﴿ **فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ**

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه برقم (٤١٨٦). ٢/١٤٠٠. قال الألباني: "حسن".
(٢) ينظر: تفسير السعدي ص ٧٤٩.

﴿بِأَمْرِهِۦ﴾[البقرة:١٠٩]، وقال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[الشورى:٤٠]، وصف الله من يصفح ويعفو بأنه محسن، وجعل أجر العافي عليه – تعالى–؛ ليرغب النفوس في العفو، فيعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عنهم.

٦/ مخاطبة الناس بالقول اللين واللفظ الحسن، قال – تعالى–: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنٗا ﴾[البقرة:٨٣] وقال – تعالى–: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[الإسراء:٥٣]، فهذا أمر بكل لفظ يقرب العبد إلى خالقه من قراءة للقرآن، وذكر لله– سبحانه–، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وكلام لطيف حسن مع خلق الله على اختلاف أجناسهم ومراتبهم، والقول الحسن يستدعي الأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة(١).

وفي قول النبي ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**»، فقام أعرابي فقال: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**لِمَنْ أَطَابَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»(٢)، وفيه جمع النبي ﷺ بين لين الكلام وإطعام الطعام، ليكمل بذلك الإحسان إلى المخلوقين قولاً بلين الكلام، وفعلاً بإطعام الطعام، فإن أساء بالقول بطل الإحسان بالفعل من الإطعام وغيره(٣)،كما قال – تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٞ

(١) ينظر: تفسير السعدي ص ٤٦٠.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه برقم (١٩٨٤)، ٤/٣٥٤. قال الألباني: "حسن".

(٣) ينظر: اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ابن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي المتوفى سنة: ٧٩٥هـ، تحقيق: جسم الفهيد الدوسري، مكتبة دار الأقصى، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م. ص٨٣.

﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾[البقرة:٢٦٤].

ويدخل في ذلك مجادلة أهل الباطل، فقد أكد الله على أن الدعوة إليه تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، قال – تعالى–: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥]. وقال: ﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[العنكبوت:٤٦]، والمراد: جادلهم أحسن المجادلة بلين القول، وخفض الجانب والجناح، وبالبعد عن أذاهم، وبكل طريق يكون أدعى لاستجابتهم عقلاً ونقلاً، طمعاً في قبولهم لما يعرض عليهم(١)، وقد وصف الله هذا بأنه من أحسن الأفعال في قوله – تعالى–: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فُصِّلَت:٣٣]، فأحسن الأقوال هو قول من جمع بين خصال ثلاثة؛ أولها: الدعوة إلى الله، وثانيها: العمل الصالح، وثالثها: أن يكون من المسلمين، وهو يشمل كل من دعا إلى الله بطريق من الطرق(٢)، وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فليس هو من الذين يقولون ما لا يفعلون، فيأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه، بل يجتهد في فعل كل خير، وينتهي عن كل شر، ويدعو الخلق إلى الخالق– سبحانه وتعالى–(٣).

ونظير ما ذكر هنا من المجادلة بالتي هي أحسن قول الله – تعالى– لموسى وهارون– عليهما السلام– في شأن فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ

(١) ينظر: تفسير الماتريدي ٥٩٥/٦.
(٢) ينظر: التفسير الكبير ٥٦٣/٢٧.
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير ١٧٩/٧.

﴿٤٤﴾[طه:٤٤]، ومن القول اللين الذي قاله موسى له: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ١٩﴾[النازعات:١٩][(١)].

* * *

(١) ينظر: أضواء البيان ٢/٤٦٥.

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم، فقد يسر الله لي إتمام هذه الورقة، وخرجت منها ببعض النتائج ومن أهمها:

١- يستخدم الإحسان في اللغة لازماً ومتعديا، فيكون معناه مرة الإتقان، وأخرى الإنعام.

٢- أما في الاصطلاح فمعناه راجع للسياق الذي يذكر فيه، ومعانيه تتضمن مراقبة الله - تعالى-، والعمل الصالح وفعل الحسنات، والإنعام على الناس.

٣- صور الإحسان المتعلقة بتعامل العبد مع غيره متعددة، منها ما هو واجب، وهم الذين أمر الله بالإحسان إليهم، ويشمل: إحسان العبد إلى الأقارب، وأحقهم بالبر والإحسان الوالدان، والإحسان إلى النساء ويشمل: الأم والزوجة والبنات، والإحسان إلى الجيران والأصحاب، والإحسان إلى الضعفاء وأصحاب الحاجات، ومنها ما يصدر عن العبد تجاه الآخرين مما هو من الإحسان، مما نص الله - تعالى- على أن فاعله محسن.

٤- وبناء على هذا فالإحسان يتنوع تبعاً لحال المحسن إليه، فهو للأقربين برهم والعطف عليهم مع إيتائهم ما قسم الله لهم، ولليتامى صيانة حقوقهم، وتأديبهم، وتربيتهم، وللمساكين بإطعامهم الطعام، وتفقد أحوالهم، والسؤال عنهم، والإنعام عليهم بالمال والطعام، ولأبناء السبيل بقضاء حاجتهم، وإرشادهم وهدايتهم، ولعامة الناس بحسن الخلق، والتلطف في القول، ورد الحقوق، وكف الأذى، وكظم الغيظ، والعفو والصفح عنهم.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

١- **اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى** المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: جسم الفهيد الدوسري، مكتبة دار الأقصى، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٢- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٣- **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤- **بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار**، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٣هـ.

٥- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦- **التسهيل لعلوم التنـــزيل**، أبو القاسم، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى:

٧٤١هـ)، الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٧- **تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨- **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.

٩- **تفسير الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، من أول سورة آل عمران، وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣م.

١٠- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١١- **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥ م.

١٢- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٣- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠ م.

١٤- **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٥- **الجامع الكبير/ سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

١٦- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٧- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

١٨- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد، الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٩- **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٠- **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي. ٥١٩/١.

٢١- **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قرهبللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩م. ٧٤/٣.

٢٢- **السنن الكبرى**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١. ٣٨٧/٦.

٢٣- **طبقات المفسرين العشرين**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١/١٣٩٦هـ. ص٦١.

٢٤- **طبقات المفسرين،** محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥- **طرح التثريب في شرح التقريب،** أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين ابن عبد الرحمن العراقي (المتوفى سنة: ٨٠٦هـ)، أكمله: أحمد بن عبد الرحيم ابن الحسين بن العراقي (المتوفى سنة: ٨٢٦هـ).

٢٦- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري،** أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٧- **غريب الحديث،** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.

٢٨- **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٩- **فتحُ البيان في مقاصد القرآن،** أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م.

٣٠- **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١/ ١٤١٤هـ.

٣١- **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

٣٢- **كتاب التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٣- **الكشاف عن حقائق غوامض التنـــزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٣٤- **مجموع الفتاوى** لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨هـ، اعتنى به وخرج أحاديثه: عامر الجزار، أنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، ط٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣٥- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٦- **مختار الصحاح**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣٧- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام ابن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٣٨- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١م.

٣٩- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٠- **معاني القرآن** للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٤١- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٤٢- **مفاتيح الغيب**، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٤٣- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٤٤- **النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: سيد ابن عبد المقصود ابن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٥- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره**، وأحكامه، وجم من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د. الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٤٦- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

* * *